84 - السيدة الشفاء بنت عبد الله

إسلامها ورجاحة عقلها

اسمها الشفاء، والدها عبد الله القرشي، زوجها أبو حيثمة بن حذيفة بن عدي، وقد أثمر زواج الشفاء وأبي حيثمة حين أنجبت له مولوداً سمَّته سليمان بن أبي حيثمة.

كانت الشفاء ذات عقلٍ نادرٍ، وذكاءٍ وافرٍ، وقد حازت إلى جانب ذلك فضيلة العلم، فكانت تتقن القراءة والكتابة من أيام الجاهلية، وهذا الأمر يسرَّ لها فهم القرآن والحديث وحفظ ما تسمعه أو تقرؤه منهما.

دخلت الشفاء في دين الإسلام عن وعي وفهم، وكان إسلامها قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وكانت بين النساء اللَّواتي بايعن النبي ﷺ وشملهنَّ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: 12]، وكانت مبايعة رسول الله ﷺ للنساء دون مصافحة، لأنه لا يصافح النساء، فإذا مدَّت امرأة يدها لتصافحه امتنع عن المصافحة وأخبرها بذلك.

إكرام النبي ﷺ لها

وكان رسول الله ﷺ يزور الشفاء في بيتها، ويكرمها، فقد أقطعها داراً بالمدينة بعد مهاجرها إليها، فنزلت فيها مع ولدها سليمان بن أبي حيثمة.

ولا غَرْوَ أن يقدِّمها عمر بن الخطَّاب ﷺ في الرأي بعد أن رأى مكانتها عند رسول الله ﷺ، وتقديره لها، وقد عرفت الشفاء قدر عمر ومنزلته

في الإسلام فتخلَّقت ببعض أخلاقه، وتأسَّت بنهجه، وحين رأت في الطريق بعض الفتية يتمهَّلون في مشيهم، ويخافتون في كلامهم، استوقفتهم، وسألتهم: لماذا تفعلون هذا؟ فقالوا لها: نحن نُسَّاك! فردَّت الشفاء بحزم: كان - والله - عمر إذا تكلَّم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجعَ.

وقد بلغت شهرتها في إجادة القراءة والكتابة عن النبي ﷺ، فقد روي عَنْ أَبي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَة، عَنِ الشِّفَاءِ بِنْت عَبْد الله قالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ، فَقَالَ لِي: **«أَلا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ؟»**[1].

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى لم تزل الشفاء ﵂ تحتفظ بما كان يوليها من التقدير والتكريم، وظلَّت وفيَّة على ما عاهدته عليه يوم البيعة حتى حضرتها الوفاة سنة عشرين للهجرة، رحمها الله تعالى.

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الطب/ باب: ما جاء في الرقى/ برقم: (3389).